المبحث الثالث

الظواهر في المجتمع الدولي

القومية : Nationalism

من أقدم وابرز الظواهر في المجتمع الدولي المعاصر ظاهرة القومية (الأمة). من حيث الزمان برزت هذه الظاهرة كقوة مؤثرة في تركيب المجتمع الدولي وتوجيه السياسة الدولية في أوائل القرن التاسع عشر والذي عرف فيما بعد بأسم «عصر القوميات»[1]. الا أن القومية كفكرة واضحة المعالم لم تتبلور الا في القرن العشرين حيث زاد في هذا القرن الاهتمام الاكاديمي بها لتحديد معناها وعناصرها وتأثيرها[2]. اما من حيث المكان فلقد ظهرت القومية أولاً في المجتمعات الأوروبية. لكن ما يجب ادراكه هو ان ظهورها لم يكن على وتيرة واحدة بل جرى في مختلف المجتمعات على انماط متنوعة اختلفت باختلاف الاحوال السياسية والاطوار الاجتماعية التي كانت قائمة فيها. رغم هذا الاختلاف يمكن القول انه في كل المجتمعات التي ظهرت فيها القومية كان هناك عامل مشترك يتمثل في أن فكرة القومية كانت رد فعل لواقع التجزئة واستجابة لمبدأ وجوب تأسيس الدول على اساس القوميات لا على اساس الرغبات[3]. فقبل ظهور فكرة القومية وتجسيدها في المجتمعات الأوروبية كان هناك دول كثيرة تحكم كل واحدة منها أمماً عديدة، كما كان هناك أمم عديدة توزعت كل واحدة منها بين دول كثيرة وكان هذا التوزيع يتم وفقاً لرغبات الملوك والاباطرة دون النظر لرغبات القوميات المختلفة.

---

١ - ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٤م)، ص ١٢.

2- Karl W. Deutsch, **Nationalism & Social Communications: An Inquiry into the foundations of nationality.** (Mass., Cambridge, The M.I.T.Press, 1966) p. 7-14.

٣- الحصري محاضرات في نشوء الفكرة القومية ص. ١٠.

ان أول دولة أوروبية ظهرت وتجسدت فيها فكرة القومية هي المانيا. ولقد اجتمعت عدة عوامل اشتركت كلها في انطلاق الفكرة القومية في ألمانيا وتغلغلها في ضمير الشعب الالماني. ويكاد يجمع المؤرخون على أن الثورة الفرنسية عام ١٩٧٩ م، وغزو نابليون لالمانيا، ووعي الشعب الالماني لما حل به من مآسي تأتي في مقدمة هذه العوامل[٤]. فالثورة الفرنسية قوبلت باستحسان من قبل الشعب الالماني لأنها بدت له كفاتحة عهد جديد في تاريخ البشرية بما انطوت عليه عند قيامها من معاني الحرية لجميع الافراد والامم وما حملته اعلاناتها من بشائر سلام وان الأمة الفرنسية لن تقوم بأية حرب توسعية ولن تستخدم قواتها ضد حرية أية أمة من الامم مما قوى في نفوس الالمان النزعة العالمية التي كانوا يحملونها وحب الانسانية الذي كانوا يدعون اليه. الا انه قد صاحب مولد هذه المشاعر في نفوس الشعب الالماني استسلام فرنسا تحت قيادة نابليون لاطماعها التوسعية وكانت المانيا في مقدمة هذه الاطماع لانقسامها الى دويلات. فلقد ضم نابليون جزءاً من الأملاك الالمانية الى فرنسا كما أدمج بعض الامارات في بعضها تحت اسم مملكة «وستفاليا» ونصب أخاه «جيروم» ملكاً عليها، ثم دمج بعض الدويلات تحت أسم «اتحاد الراين» وجعل هذا الاتحاد تحت حمايته. لقد كان من نتيجة ذلك رد فعل شديد من قبل الشعب الالماني وشعور واضح بان ما حل بالمانيا من مآسي سياسية كانت نتيجة لفقدان الوحدة القومية وضعف الروح الوطنية. لذا ظهر في المانيا تيار قوي جارف من الحماس الوطني المقرون بالرغبة الملحة في الاتحاد. هذا الحماس الوطني وتلك الرغبة القوية في الاتحاد أوجد المناخ الملائم لبذر فكرة القومية ونموها لا في المانيا فحسب وانما في عدة دول أوروبية أخرى[٥].

ماهية القومية : ليس هناك اتفاق بين علماء الاجتماع وأساتذة العلاقات الدولية على تعريف محدد لمعنى القومية. وان عدم الاتفاق هذا يرجع الى ان القومية مفهوم اجتماعي وكغيرها من المفاهيم الاجتماعية قابلة للتطوير والتغيير. ورغم هذه السمة المطاطة للقومية حاول عدد من المهتمين بها صياغة تعريف لها وتحديد عناصرها.

---

٤ - غسان مزاحم «القومية» **شؤون عربية**، العدد ٤، يونيو ١٩٨١م، ص ١٠٠.

٥ - أنظر الحصري، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية**. ص. ٤-٤٨.

يعرف الدكتور «جورج حنا» القومية بأنها «عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة، وجغرافية مشتركة، وتاريخ مشترك، ومصير مشترك، ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة، وثقافة نفسية مشتركة. وهذا العقد يجب ان يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة»[٦]. أما الدكتور «منيف الرزاز» فهو يعرف القومية بأنها «الرابطة التي تربط ابناء الأمة الواحدة في الوطن الواحد»[٧]. في حين يعرف «مانشيني» Mancini الايطالي القومية بأنها «مجتمع طبيعي من البشر، يرتبط بعضه ببعض بوحدة الارض والاصل، والعادات، واللغة من جراء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي»[٨]. وحيث ان تعريف مانشيني يعتبر من أهم واشهر التعريفات التي قدمت للقومية فسوف نجعله المنطلق لتحديد سمات القومية وعناصرها.

ان أول ما يلاحظ في تعريف مانشيني هو قوله ان الامة «مجتمع طبيعي من البشر». ان وصف مجتمع الامة بالطبيعية يدل على نظرة علمية. فمن المعلوم ان بعض الجماعات والجمعيات تتكون من جراء اتفاق ارادي بين بعض الافراد. أما القومية حسب تعريف مانشيني فهي تنشأ وتتطور بدافع من طبيعة الحياة الاجتماعية، لا من ارادة الاشخاص وترتيباتهم. هذه السمة الطبيعية للقومية هي التي تميزها عن بقية التجمعات الارادية. نأتي بعد ذلك لبقية تعريف مانشيني والذي يحدد بعض عناصر القومية الاساسية (الروابط الجغرافية، الاصل، اللغة) و يهمل البعض الاخر (التاريخ والدين).

وحدة الأصل : يرى بعض علماء القومية ومنهم «مانشيني» أن وحدة الأصول العنصرية تشكل ركيزة اساسية لوجود القومية وانه بدون التجانس في تركيب الامة, تفقد العناصر الاخرى اهميتها وفعاليتها كرابطة بين ابناء الامة الواحدة. غير ان هذا الرأي في نظر مجموعة اخرى من علماء القومية لا يستند الى اساس صحيح لأن جميع الابحاث العلمية المستمدة من حقائق التاريخ ومن مكتشفات

---

٦ - د. جورج حنا، **معنى القومية العربية**. (بيروت، دار الثقافة) ص ٢١.

٧ - د. منيف الرزاز، **تطور معنى القومية** (بيروت، دار العلم للملاين)، ١٩٦٠ ص ١٦.

٨ - ساطع الحصري، **ما هي القومية**، (بيروت دار العلم للملاحين، ١٩٦٣م)، ص ٤٠.

علم الانسان لا تترك مجالاً للشك في انه لا توجد على وجه البسيطة أمة تنحدر من أصل واحد. فتحت تأثير الهجرات والانتقالات المستمرة عبر الحدود الجغرافية المختلفة خلال مراحل التاريخ المتتالية حدث من التداخل والاختلاط بين الاجناس الى درجة تجعل وجود عنصر من الاجناس يخلو من شوائب الاختلاط بغيره من العناصر أمراً غير ممكن. ان وحدة الاصل في رأي الاستاذ الحصري «هي من الاوهام التي استولت على على العقول والاذهان، من غير ان تستند الى برهان»[٩]. رغم هذا الرفض لفكرة وجود وحدة الاصل يعترف الحصري وغيره من المهتمين بفكرة القومية بأهمية وفعالية **الاعتقاد** بوحدة الاصل في تكوين الأمم سواء كان هذا الاعتقاد موافقاً للحقيقة أم مخالفاً لها[١٠].

الروابط الجغرافية : تتمثل الروابط الجغرافية لأي أمة بوجودها في اقليم مشترك محدد المعالم. وتزداد فعالية الروابط الجغرافية اذا اتسم الاقليم بسهولة الاتصالات وتوفر المواصلات. ان وجود الأمة في اقليم واحد سوف يقوي التفاعل ومن ثم الترابط بين ابناء الأمة الواحدة وهذا التفاعل والترابط سيساهم في بلورة شخصية الأمة وتقويتها. فبسبب وحدة الاقليم نجد مثلاً ان التداخل والتفاعل بين شعوب الجزيرة العربية في مختلف اقطارها اكثر من التداخل بين شعوب الجزيرة العربية وشعوب المغرب العربي. كما أن التداخل بين شعوب العالم العربي في مختلف أوطانه اكثر من التداخل بين شعوب العالم العربي وبقية شعوب العالم الثالث. لذا ليس من الغريب ان نجد معظم القوميات ان لم يكن كلها نشأت في اقليم معين أو سعت لايجاد ذلك الاقليم كما هو الحال في القومية اليهودية والتي جعلت من أرض فلسطين اقليماً لقوميتها.

رغم الاهمية السالفة الذكر للروابط الجغرافية هناك من أساتذة القومية من ينتقد فكرة ادراجها كعنصر اساسي من عناصر القومية، فالأرض حسب مفهومهم ليست من الأمور التي تميز الامم بعضها عن بعض لأنها عامل مشترك وصفة

---

٩ - الحصري، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية**، ص ٢٦.

١٠ - ساطع الحصري، **آراء وأحاديث في الوطنية والقومية**، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦١م)، ص ٢٩.

متشابهة لكل الأمم والدول ولا تنفرد بها أمة معينة عن غيرها من الأمم[11]. الا ان هذا الانتقاد في رأينا يجب ان لا يقلل من اهمية الروابط الجغرافية كعنصر من عناصر القومية. فالروابط الجغرافية ساهمت وستظل تساهم في تماسك أبناء الأمة الواحدة وفي ابقاء القومية كقوة محركة في السياسة الدولية.

اللغة المشتركة : تعتبر اللغة أهم عنصر من عناصر القومية. فاللغة هي واسطة التفاهم بين أفراد الأمة، وآلة التفكير عندهم، ووسيلة نقل الافكار والمكتسبات من الآباء الى الابناء ومن الأجداد الى الاحفاد. لذا نجد أن وحدة اللغة توجد نوعاً من الوحدة في الشعور والتفكير والثقافة وتربط افراد الأمة بسلسلة من الروابط الفكرية والعاطفية.

وبما ان اللغات تختلف من أمة الى أخرى فمن الطبيعي ان مجموعة الافراد الذين يشتركون في اللغة يتقاربون و يتماثلون و يتعاطفون أكثر من غيرهم فيؤلفون بذلك أمة متميزة عن الأمم الأخرى. لذلك يمكن القول ان الامم تتميز عن بعضها في الدرجة الأولى بلغتها، وان حياة الأمم تقوم قبل كل شيء على لغتها. لقد جعل فيلسوف القومية العربية الاستاذ «ساطع الحصري» اللغة المحور الاساسي للقومية حيث يرى ان اللغة هي روح الأمة وحياتها، وانها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري، وهي اهم مقوماتها الشخصية[12]. كما أن فيخته Fichte فيلسوف القومية الألمانية عبر في العديد من خطبه عن أهمية اللغة في تكوين الأمة حيث يرى انها اساس الأمة ومصدر وجودها فالذين «يتكلمون بلغة واحدة، يكونون كلا موحداً، ربطته الطبيعة بروابط متينة، وان كانت غير مرئية»[13]. غير ان هذا التركيز على اهمية اللغة في تكوين الأمة لا يعني انه متى ما وجدت اللغة المشتركة في مجموعة من الشعوب تكفي بحد ذاتها لتحويل الشعوب المختلفة الى أمة واحدة. فاللغة الانجليزية مثلا هي اللغة الأم للشعب الامريكي كما انها هي اللغة الأم للقومية البريطانية والقومية الايرلندية على ما بين هاتين القوميتين

---

١١ - ساطع الحصري، **حول القومية العربية.** بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦١م)، ص ٩٦:

١٢ - الحصري، **محاضرات في نشوء الفكرة القومية.** ص ٢٨.

١٣ - الحصري، **ما هي القومية.** ص ٦٠.

من عداء تاريخي مستحكم يجعل تحويلهما الى أمة واحدة أمراً غير ممكن.

التاريخ : يعتبر التاريخ بمثابة شعور الأمة وذاكرتها. فكل أمة من الأمم تشعر بذاتها وتنبى شخصيتها من خلال تاريخها. وعندما نذكر التاريخ كعنصر من عناصر القومية فنحن لا نقصد به التاريخ المدون في الكتب والوثائق بل نقصد به التاريخ الحي في النفوس، الشائع في الأذهان المستولي على التقاليد.

ان وحدة التاريخ في أية أمة تولد تقارباً في العواطف والنزعات بين أفراد وتؤدي كذلك الى تماثل في ذكريات الماضي ومفاخره والتي كثيراً ما تذكر لحشد الهمم والطاقات لتحقيق آمال المستقبل. لذا يمكن القول ان الذكريات التاريخية تقرب النفوس وتوجد نوعاً من القرابة المعنوية بين أفراد الأمة. هذه القرابة المعنوية في رأي فلاسفة القومية «أشد تأثيراً من القرابة المادية»[١٤]. ان الأمم التي تفقد تاريخها تفقد شعورها وتستسلم لعدوها. لذا نجد أن الاستعمار الاستيطاني أول ما يحاوله هو القضاء على تاريخ الأمم وطمس معالمه كخطوة لتجريد الامم من شعورها القومي واحلال اللامبالاة القومية مكانه.

ان فعالية التاريخ كعنصر من عناصر القومية يتوقف على الاحداث التي عاشتها الأمة وساهمت في صهرها. فكلما كان تاريخ الأمة حافلاً بالمحن والتحديات والامجاد العظيمة كلما كان فعاليته في تماسك الأمة أكثر، لأن الاجيال اللاحقة لا تذكر الاحداث الصغيرة وانما تذكر دائماً الاحداث الكبيرة التي ساهمت في تغيير مجرى حياة الأمة في الماضي ولها تأثير في سلوكها في الحاضر.

الدين : ان دور عناصر القومية السابقة في تماسك الأمة يتوقف على عناصر اخرى يأتي في مقدمتها الدين. ان الدين يولد نوعاً من الوحدة في شعور الافراد الذين ينتمون اليه، ويبعث في نفوسهم بعض العواطف والنزعات التي تؤثر في سلوكهم.

---

١٤ - خضري. آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ص ٣٣.

فالدين يعتبر من هذه الوجهة من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الافراد بعضهم ببعض.

غير ان تأثير الدين في تكوين القومية لا يجري على نهج واحد في كل الاحيان، بل ان هذا التأثير يختلف باختلاف الاديان من جهة، وباختلاف العصور والادوار من جهة أخرى. يمكن أن نميز من الناحية الاجتماعية بين نوعين من الأديان: الاديان القومية، والاديان العالمية. فالاديان التي تنحصر بقوم أو شعب مثل الديانة الاسرائيلية تعتبر من الاديان القومية حيث أن معتنقي هذه الاديان يعتقدون باله خاص بهم دون غيرهم، ويزعمون انه يحميهم دون سواهم. لذلك فانهم لا يسعون الى نشر دينهم في المعمورة، بل بعكس ذلك يسدون ابواب هذا الدين في وجوه سائر الأمم الأخرى. ومن الطبيعي ان تكون الرابطة التي تتولد من مثل هذه الاديان رابطة ايجابية بالنسبة للقومية حيث انها ستؤدي الى زيادة تماسك الأمة وفعاليتها. اما الاديان العالمية فهي الاديان التي لا تختص بشعب من الشعوب أو أمة من الأمم، بل بعكس ذلك تفتح أبوابها لجميع الأمم، وتدعو الى اعتناقها جميع الشعوب، على اختلاف لغاتهم وجنسياتهم. مثال لهذه الاديان الاسلام والمسيحية. ان هذه الاديان تسعى الى الانتشار بين اكبر عدد ممكن من الافراد والجماعات، وتميل الى ايجاد رابطة أعم من الروابط اللغوية والتاريخية والجغرافية، وتوجد بذلك نوعاً من الجو العالمي الذي يحيط بكثير من الاقطار ويشمل كثيراً من الشعوب. ومن البديهي أن اصحاب هذه الأديان كثيراً ما يميلون الى معارضة القوميات في كافة أشكالها[١٥].

ان التركيز على عناصر القومية السابقة لا يعني أن هذه العناصر هي العناصر الوحيدة بقدر ما يعني انها العناصر الاساسية. فهناك عناصر أخرى كثيراً ما تلعب دوراً بارزاً في تجسيد القومية وتماسك الأمة. منها على سبيل المثال لا الحصر المصالح والثقافة والرغبة المشتركة. فللمصالح المادية المشتركة بين أبناء

---

١٥ - أنظر عمير محمد نجيب، **الحركات القومية الحديثة في ميزان الاسلام**، (الرياض، مكتبة الحرمين، ١٩٨١م)، وكذلك د. محمد أحمد خلف وآخرين، **القومية العربية والاسلام**، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨١م).

الأمة الواحدة دوراً كبيراً في تقوية تماسك الأمة وتوحيد جهودها ومقدرتها واسلوب حياتها. اما الثقافة المشتركة فمفعولها كاللغة حيث انها تخلق الشعور المشترك وتساعد في بناء ايديولوجية قومية مشتركة لحاضر الامة ومستقبلها. اخيراً فان أي عنصر من عناصر القومية سوف لن يكون له تأثيره المنشود في بناء وبقاء الامة ما لم يكن مصحوباً بارادة ورغبة افراد الأمة بالمحافظة على قوميتهم وزيادة نفوذها في المجتمع الدولي.

القومية والوطنية : كثيراً ما يكون هناك التباس بين مفهومي القومية الوطنية Patriotism رغم ما بين هذين المفهومين من اختلاف كبير. فالوطنية تعني «حب الوطن، والشعور بارتباط باطني نحوه»[١٦]. أما القومية فهي «حب الأمة». والوطن هو قطعة معينة من الأرض يرتبط بها الفرد وتتعلق بها عواطفه وأحاسيه. أما الأمة فهي جماعة من البشر تتوفر فيها عناصر القومية السالفة الذكر. بالاضافة الى ذلك فان القومية تختلف عن الوطنية بسعة نطاقها وتجريدها وطابعها العقادي. فهي أوسع نطاقاً من الوطنية لأن القومية قد تشمل اكثر من وطن كما هو الحال في القومية العربية التي تشمل كل الاوطان العربية. كما أن القومية قد تكون مجردة من الوطن كما هي الحال في القومية اليهودية قبل انشاء اسرائيل. اخيراً فان القومية كثيراً ما تصاغ بأسلوب فلسفي يحولها من فكرة مبسطة الى عقيدة معقدة. الا ان هذا الاختلاف بين القومية والوطنية لا يعني عدم التطابق بينهما. فقد تطابق القومية الوطنية وقد تختلف معها والصور التالية توضح متى يكون التطابق ومتى يكون الاختلاف.

أ ـ قد تؤلف الامة الواحدة دولة مستقلة واحدة (وطن واحد) هنا تتطابق الوطنية مع القومية ومثال ذلك فرنسا.

ب ـ قد تؤلف الامة الواحدة اكثر من دولة، هنا تتعارض الوطنية مع القومية ومثال ذلك الوضع الحالي في الوطن العربي وواقع الأمة العربية.

---

١٦ ـ الحصري، ما هي القومية، ص ٩.

جـ ـ قد تكون الأمة الواحدة مجزأة وخاضعة لدول شتى كما كانت الحال بالنسبة للعالم العربي حتى النصف الثاني من القرن العشرين حينما كانت الامة العربية خاضعة للاستعمار من دول مختلفة في مقدمتها بريطانيا وفرنسا. فالاستعمار فرض على الوطن العربي التجزئة وعلى الأمة العربية الانتماء لقوميات مختلفة. الا ان مقاومة الامة العربية لواقع التجزئة ورفضها الانتماء لأمم أخرى جعل الوطنية تلتقى مع القومية في مرحلة نضالية معينة من مراحل النضال العربي.

د ـ قد تكون الأمة محرومة من وطن خاص بها، لكنها تطمح للحصول على هذا الوطن ـ وهنا تتعارض القومية المنشودة مع الوطن الموجود. مثال ذلك القومية اليهودية التي لم تكتف بالدول التي يعيش بها اليهود كوطن قومي لهم بل سعت لاحتلال فلسطين وجعلها وطناً قومياً خاصاً لليهود.

القومية والاممية : على خلاف القومية التي تهتم بواقع أمة من الأمم دون غيرها، هناك الأممية التي تتسم بالعالمية Cosmoplitanism حيث انها تشمل في هدفها ليس أمة معينة أو وطناً محدداً وانما المعمورة كلها. لقد ارتبطت الاممية ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الماركسية بل انها تمثل اساساً رئيسياً من اسسها الفلسفية. ان الفكر الماركسي يتجه بصفة عامة الى رفض فكرة الوطنية والقومية ويحل محلها الطبقة العاملة العالمية. فالعقيدة الماركسية تقوم على أساس انه «ليس للعمال وطن» وان الاختلافات القومية والعداءات بين الأمم والشعوب سوف تتلاشى تدريجياً ليأخذ مكانها العداء بين طبقات المجتمع الدولي.

وفقاً لماركس وانجلز «المجتمع ككل ينقسم الى معسكرين متعادين عداءا شديداً، والى طبقتين كبيرتين تواجه كل منهما الأخرى مباشرة هما: الطبقة البرجوازية وطبقة العمال»[17]. فالصراع في المجتمع الدولي سيكون ليس صراعاً وطنياً أو قومياً وانما صراع طبقات. وتمشياً مع هذا المفهوم حث ماركس وانجلز

17- Karl Marx & Frederick Engels, **The communist manifesto** 20th printing of 100th anniversary edition, 1975, p.9.

في آخر بيانهما الشيوعي عمال العالم على الاتحاد لمواجهة عدوهم المشترك والمتمثل ليس في وطن معين أو أمة محددة وانما في طبقة ذات صفات اجتماعية اقتصادية مميزة هي الطبقة البرجوازية. ومثلما رفض كل من ماركس وانجلز فكرة القومية واعتبراها ظاهرة برجوازية فانهما ايضاً رفضا فكرة الحكومة والتي تتمثل بها القومية سياسياً. فالحكومة حسب مفهوم ماركس وانجلز ليست سوى «لجنة لادارة الشؤون العامة للطبقة البرجوازية»[18]. فالماركسية ترى ان القومية مجرد معنى مخترع لرابطة لا أساس لها وجدت في مرحلة معينة من التاريخ هي المرحلة البرجوازية، وستنتهي بانتهاء هذه المرحلة، وان الخطوة الاولى لتجاوز تلك المرحلة يجب أن تأتي من العمال الذين سيتحدون على اساس طبقي لا وطني أو قومي. ما نخلص به من هذا الوصف الموجز للعلاقات القومية ـ الاممية هو أن القومية والأممية فكرتان متعارضتان وان كان هناك تطابق احياناً بين الوطنية والقومية فان مثل هذا التطابق لا يوجد بين القومية والأممية.

ان فكرة الاممية (العالمية) هي مجرد افتراض فلسفي حتى الان لم يدعمه التاريخ بشواهد تحوله من مجرد افتراض الى حقيقة علمية. ان الاحداث التاريخية خصوصاً الاحداث الكبيرة مثل الحروب تناقض الافتراض الأممي وتدعم كلا من الافتراض الوطني والقومي. فخلال الحروب الاوروبية الكبرى مثل الحرب العالمية الأولى والثانية رفض العمال دعوة الماركسية ومناشدة الاحزاب الشيوعية لمناهضة الحرب وانضم عمال كل دولة الى حكوماتهم للدفاع عن وطنهم وقوميتهم.

تأثير القومية : لقد أدى ظهور القومية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين الى ثورة كبيرة في المجتمع الدولي عرفت بأسم «ثورة الأمم على الدول». ولقد سببت هذه الثورة تغيرات أساسية في تكوين الدول وفي توجيه السياسة الدولية. فخلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين كان من نتائج «ثورة الأمم» انبثاق العديد من الدول القومية الجديدة في المجتمع الدولي سواء كانت هذه الدول الجديدة خاضعة للاستعمار ثم نالت استقلالها Independence تأكيداً لذاتها القومية أو أنها كانت جزء من دولة لا ترتبط معها بروابط قومية فسعت اما

18- **Ibid** p.11.

للانفصال عنها وتكوين دولة قومية خاصة بها أو للحصول على حكم ذاتي Autonomy كوسيلة للحفاظ على السمات القومية للاقلية وكبديل للانفصال. ولم يكن هذا هو التأثير الوحيد «لثورة الأمم».

لقد ساهمت «ثورة الأمم» ايضاً في ايجاد تفاعل العامة من المواطنين مع الحياة السياسية التي كانت حكراً لفئة قليلة من المواطنين تعرف بالنخبة أو الصفوة Elite. فكما هو معروف خلال القرن التاسع عشر كان الاباطرة ومستشاروهم وحدهم دون غيرهم هم الذين يصنعون السياسة الخارجية للدولة، وكانت هذه السياسة وليدة اعتبارات خاصة بالعائلة المالكة أو اعتبارات تاريخية وأمنية. لكنها كانت تهمل تماماً اعتبار وجهة نظر الشعب بصفة عامة والقوميات والاقليات التي تحتويها الدولة بصفة خاصة. الا ان ظهور فكرة القومية أدى الى نمو الشعور القومي واعتباره والى اعادة ترتيب الولاء والاهمية على اساس وطني قومي لا عائلي أو تاريخي. ان اعتبار الشعور القومي كعامل في توجيه السياسة الخارجية ادى الى مشاركة الرأي العام في صناعة القرارات السياسية ذات الصفة القومية والدولية وأدى كذلك الى دخول عنصر جديد في قوة الدولة الا وهو الروح المعنوية والتي تعني تأييد الشعب للحكومة في قراراتها الخارجية. فبرفع الحكومة لشعار «الشرف القومي» و «الكرامة القومية» تكون الأمم مستعدة للتضحية وهذا ما سوف يسهل للحكومة تعبئة السكان معنوياً وعسكرياً لدعم نشاطاتها الدبلوماسية والعسكرية.

الايديولوجية : Ideology

تعني الايديولوجية العقيدة السياسية لحزب أو حكومة. ويمكن تحديدها بمجموعة المبادي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والقيم الاخلاقية التي ينتهجها حزب ما أو حكومة معينة، أو يسعيان لتحقيقها وتنفيذها بالترغيب أو الاكراه أو بكليهما معاً والسير على هداها في الحاضر وفي المستقبل[١٩].

---

١٩ - سموحي فوق العادة، **معجم الدبلوماسية والشؤون الدولية**، (بيروت، مكتبة لبنان ١٩٧٤م)، ص ١٩٧. انظر أيضاً د. ناصيف نصار، **طريق الاستقلال الفلسفي: سبيل الفكر العربي الى الحرية والابداع**، (بيروت، دار الطليعة ١٩٧٩م)، ص ٣٩ - ٥٢.

ان الايديولوجية كعقيدة سياسية تختلف عن العقيدة الدينية Religion التي ينتهجها حزب ما أو حكومة معينة. فالايديولوجية تتميز بطابعها العلماني وبكونها من انتاج مفكرين يعرفون بمنظري الحزب أو الحكومة. اما العقيدة الدينية فهي مجموعة معتقدات تؤمن بها جماعة معينة وهذه المعتقدات نزلت بارادة الهيئة وبوحي الهي في كتب مقدسة[٢٠]. فالاسلام والمسيحية لا يعتبران عقائد سياسية (ايديولوجيات) وانما هما عقائد دينية، أما الشيوعية والرأسمالية فهما يجسدان امثلة حية للعقائد السياسية.

كثيراً ما يرتبط ظهور الايديولوجية ارتباطاً وثيقاً بالتغيرات التي تحدث في مجتمع معين. فالايديولوجية اذا هي انعكاس لواقع اجتماعي متغير أوجدته عوامل مختلفة. وهذا ما عبر عنه «روسيك» Roucek في كتابه **الايديولوجيات السياسية المعاصرة** حينما أكد انه في الفترات التي يكون فيها التغير الاجتماعي كبيراً أو الحاجة اليه ماسة، تظهر الحركات الايديولوجية الجديدية ذات التأثير الكبير[٢١]. فظهور الايديولوجية هو مؤشر للتغيرات الاجتماعيةالتي تظهر في مجتمع معين، ووظيفة الايديولوجية هو توجيه هذه التغيرات لتحقيق واقع اجتماعي جديد تتجسد فيه مباديء وقيم ومفاهيم تعرف في مجموعها باسم «الايديولوجية».

عرفت الايديولوجية كظاهرة دولية اولا في المجتمعات الأوروبية في القرن التاسع عشر. ولقد كانت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. بمبادئها الاساسية الثلاثة: الحرية، المساواة، والاخاء أول ثورة اجتماعية ذات صفة ايديولوجية. لا شك ان المباديء الاساسية لايديولوجية الثورة الفرنسية كانت مبسطة وعامة اذا ما قورنت بمباديء الايديولوجيات المعاصرة، الا انها مع ذلك كانت تمثل اطاراً فكرياً متكاملاً. ومع تطور الحركات الاجتماعية وما رافق هذا التطور من ثورة فكرية خصوصاً في منهج التحليل، تحولت الايديولوجيات من مجرد مبادىء مبسطة الى عقائد فلسفية تعالج كل مظهر من مظاهر المجتمع وتتطرق لكل فئة اجتماعية من

---

٢٠ - د. أحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٨م)، ص ٣٥٣.

21- Joseph S. Roucek, ed. **Contemporary Political Ideologies,** (Paterson, N.J.: Littlefield, Adams Co., 1961) p.5.

فئاته[٢٢]. وبذلك تحولت المباديء المبسطة مثل حرية، مساواة، اخاء، من أسس اساسية الى مجرد شعارات لجذب اهتمام الجمهور للعقائد الفلسفية الجديدة ذات العمق الفكري اللامحدود والعلاقات المنهجية التحليلية المنتظمة.

ان مما زاد من اهمية الايديولوجية والاهتمام بها كقوة محركة في السياسة الدولية هو نمو نفوذها في المجتمع الدولي. ومن العوامل التي ساعدت في نمو نفوذ الايديولوجية ظهور عدد من الدول القومية في المجتمع الدولي والتي تدين بعقائد سياسية مختلفة في اسسها ووسائلها واهدافها. فالاتحاد السوفييتي والولايات لمتحدة الأمريكية كلاهما يأخذان صفة الدولة الأعظم في المجتمع الدولي، لكنهما يدينان بأيديولوجيات متعارضة. فالاتحاد السوفييتي يدين بالماركسية والتي تتخذ من الصراع الطبقي وسيلة لتحقيق مجتمع شيوعي يتميز بالغاء كامل الملكية الفردية. أما الولايات المتحدة فهي تدين بالرأسمالية والتي تتخذ من النضال البرلماني وسيلة لتحقيق مجتمع رأسمالي يتميز بالحرية الاقتصادية الفردية المطلقة. ان التزام الدول الأعظم بايديولوجيات متعارضة زاد من اهمية الايديولوجية ونفوذها في المجتمع الدولي، حيث ان كل دولة سخرت سياساتها الخارجية لاحتواء ايديولوجية الدولة الأخرى ولتوجيه المجتمع الدولي وفقاً لمعتقداتها. هذا التناقض الايديولوجي كان سبباً لعد صراعات دولية يأتي في مقدمتها الحرب الباردة التي شهدتها الخمسينيات والستينيات بين المعسكرين الشرقي بزعامة الاتحاد السوفييتي والغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

بالاضافة الى ظهور عدد من الدول القوية التي تدين بايديولوجيات مختلفة فان زيادة الدور الذي يقوم به الرأي العام في صنع السياسة الخارجية فرض على الحكومة ان تلتزم بالعقيدة السياسية للدولة وان تكون سياستها الخارجية تخدم تلك العقيدة ولا تتعارض معها. فمثلاً من الصعب على حكومة شيوعية ان تدعم حركة تحرير تلتزم بالرأسمالية كعقيدة سياسية ومنهج للنضال، حيث ان مثل هذا الدعم سيكون محل تساؤل بالنسبة للرأي العام لتعارضه مع معتقداته السياسية.

22- Peter H. Merkle, **Modern Comparative Politics** (New York: Holt, Rinehart & Winston, Inc., 1971), p.203-205.

ونفس الشيء يمكن ان يقال عن دعم حكومة رأسمالية لحركة تحرير تلزم بالعقيدة الشيوعية حيث ان مثل هذا الدعم سيعرض الحكومة لتساؤلات الرأي العام حول ولاء الحكومة للعقيدة السياسية للدولة. فالايديولوجية اذا، هي التي تحدد الاطار العام للسياسة الخارجية للدولة والسياسة الخارجية الناجحة هي التي تجعل من الايديولوجية التي يعتنقها أوسع قطاع من الرأي دليلاً أساسياً لها.

أنواع الايديولوجيات : رغم أن الايديولوجية واحدة في معناها حيث انها تعني العقيدة السياسية لحزب أو حكومة، الا انها تختلف في حدود تأثيرها. فهناك أولاً الايديولوجية دون القومية Subnational Ideology وهذا النوع من الايديولوجيات يوجد عادة في الدول الديمقراطية التي توفر مناخاً سياسياً قابلا لتنوع الأفكار وتعدد الاحزاب السياسية. فمثلاً في فرنسا وبريطانيا وغيرهما من الدول الديمقراطية التي يوجد بها احزاب عديدة توجد ايديولوجية دون قومية، حيث ان كل حزب سياسي يتبنى ايديولوجية دون قومية تختلف عن الأخرى. لذا فان تأثير الايديولوجيات دون القومية محدود بقطاع معين من السكان وليس كل السكان. ولهذا السبب سميت بايديولوجية دون قومية، أي انها لا يدين بها كل القوم (السكان) وانما يدين بها فقط جزء منهم وهذا الجزء قد يتمركز في مناطق معينة من الدولة أو قد ينتشر في الدولة كلها.

النوع الثاني من الايديولوجية هو الايديولوجية الوطنية Patriotic Ideology. وهذا النوع من الايديولوجيات يوجد عادة في الدول غير الديمقراطية التي تحاول حكوماتها فرض ايديولوجيتها في كل الوطن معتقدة ان ايديولوجيتها تقدم أفضل الحلول لمشاكل المجتمع وتوفر أحسن نهج لخدمة المصلحة الوطنية. ومثل هذه الايديولوجية توجد في كثير من دول العالم الثالث حيث نجد الحكومات في تلك الدول تفرض على كل مواطنيها عقيدة سياسية معينة ولا تسمح لهم بالانتماء لغيرها. كما أن تلك الحكومات تستخدم كل اجهزتها الاعلامية وامكانياتها الاخرى لنشر عقيدتها في كل الوطن والدفاع عنها أمام التحديات التي تواجهها من العقائد السياسية الاخرى.

أما النوع الثالث من الايديولوجية فهو الايديولوجية القومية National Ideology ومثل هذه الايديولوجية توجد في الدول التي لها انتماءات قومية بالاضافة الى انتماءاتها الوطنية. وهذا النوع من الايديولوجيات لا يكون تأثيره محدوداً فقط في وطن أو قطر معين وانما تهدف ايضاً الى التأثير في كل الامة في مختلف أوطانها. أمثلة لتلك الايديولوجيات القومية ايديولوجيات القومية العربية والتي تمثل حركة القوميين العرب، البعث والناصرية أبرزها. فحزب البعث العربي الاشتراكي على سبيل المثال يحاول التأثير في كل الأمة العربية في مختلف أوطانها. لذا، نجد أنه في الوقت الذي تقوم فيه القيادة القطرية للحزب بنشر برنامج الحزب على الصعيد الوطني (القطري) وحشد الدعم السياسي له، تقوم القيادة القومية للحزب بنشر برنامج الحزب على الصعيد القومي وذلك بدعم فروع الحزب العلنية والسرية في العديد من الدول العربية. وما قيل عن حزب البعث العربي الاشتراكي يمكن أن يقال عن الناصرية وغيرها من الايديولوجيات العربية.

ان الايديولوجية القومية توضح لنا مدى الترابط والاختلاف بين القومية والايديولوجية. فالترابط يتمثل في ان الايديولوجية مكملة للقومية حيث انها تسعى الى تطوير فكرة القومية وذلك بتحويلها من مجرد صفة اجتماعية الى عقيدة سياسية ذات اطار فلسفي محدد. أما الاختلاف فهو يتمثل في أن القومية تهتم فقط في العناصر التي توحد الأمم، لكنها لا تسعى الى فهم الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه الأمم، كما انها لا تهتم في القوانين الحركية التي تحكم ذلك الواقع الاجتماعي. ان فهم الواقع الاجتماعي وقوانينه الحركية عادة ما تكون من شأن الايديولوجية وليس القومية. كما ان القومية ايضاً لا تجعل من اهدافها فهم طبيعة المؤسسات السياسية والاجتماعية التي توجد في أمة من الأمم. وعلى خلاف القومية تحتل طبيعة تلك المؤسسات مكاناً بارزاً في الايديولوجية حيث ان الايديولوجية تعتبر المؤسسات السياسية والاجتماعية محرك التغيير في المجتمعات.

والنوع الأخير من الايديولوجية هو الايديولوجية الدولية International Ideology وهذه الايديولوجية لا تعترف بحدود جغرافية معينة

كهدف نهائي لتأثيرها، كما انها لا تركز على أمة معينة دون غيرها وانما تهدف الى التأثير في كافة سكان المعمورة على مختلف أوطانها وقومياتها. وأبرز الامثلة لهذه الايديولوجية الشيوعية والرأسمالية. فكلا الايديولوجيتين تحاولان توسيع نفوذهما في المجتمع الدولي على حساب الايديولوجيات الاخرى وذلك بتوسيع نشاطهما الاعلامي ودعمهما السري أو العلني للاحزاب السياسية والحكومات التي تشاركهما العقيدة السياسية. وتعتبر هاتان الايديولوجيتان بسبب انتشارهما الواسع من أهم الايديولوجيات في المجتمع الدولي. فالايديولوجية الرأسمالية هي العقيدة السياسية لعدد من الدول القوية عسكرياً، المتقدمة حضارياً، والبارزة صناعياً. أما الشيوعية فلقد اكتسبت اهميتها من عدد معتنقيها وانتشارها في العديد من الدول حيث يؤمن بها ما يزيد على ألف وستمائة مليون نسمة، وتنتشر الاحزاب الشيوعية سراً أو علناً في أكثر من ستة وتسعين دولة من بينها الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية وكلاهما من الدول العظمى في المجتمع الدولي.

رغم التمييز السابق لانواع الايديولوجيات لا بد من القول ان المحلل لتأثير الايديولوجيات عادة ما يواجه صعوبة في تحديد الخط الفاصل بين ايديولوجية وأخرى. فمثلاً من الصعب التحديد وبدقة ما اذا كانت الايديولوجية القومية ترفع شعاراتها القومية عن ولاء حقيقي للقومية ورغبة أكيدة في خدمتها، أم أنها رفعت ذلك الشعار القومي لتحسين سمعتها القومية وتسخير تلك السمعة لخدمة المصلحة الوطنية. فاذا كانت الايديولوجية القومية وجدت لخدمة مصلحة وطن معين وليس الامة كلها فهنا تكون الايديولوجية قومية في مظهرها وطنية في جوهرها. وما قيل عن الشعارات القومية للايديولوجية يمكن ان يقال عن الشعارات العالمية ذات السمة الانسانية للايديولوجيات الدولية. فنحن كثيراً ما نسمع عن الشعارات الأممية التي ترفعها الشيوعية وشعارات الحرية التي تنادي بها الرأسمالية. لكن من الصعوبة بمكان ان نحدد ما اذا كانت تلك الشعارات ترفع من دافع أممي ديمقراطي حقيقي أم انها مجرد ستار يستتر وراءه الدافع الحقيقي وهو خدمة وحماية مصلحة دولة أو أمة معينة دون الدول والأمم الأخري.

تأثير الايديولوجية : لقد مارست الايديولوجية ولا تزال تمارس تأثير كبيراً في

توجيه السياسة الخارجية للعديد من الدول. ولقد أدى تزايد تأثيرها هذا الى اعتبارها نهجاً مستقلاً في دراسة السياسة الخارجية[٢٣].

ان من السياسات الخارجية البارزة التي أثرت في توجيهها الايديولوجية تأثيراً ملموساً السياسة الخارجية السوفيتية. فتلك السياسة تعمل ضمن نسق معين حددته لها الايديولوجية الشيوعية المبنية على العقيدة الماركسية ـ اللينية. لقد عبر كاتب سوفيتي هو «ف. ب بوتمكين» عن هذه الحقيقة بقوله ان «**للدبلوماسية السوفيتية سلاحاً لا يملكه أي من أعدائها وهذا السلاح هو النظرية العلمية الماركسية اللينينية. فهذه النظرية تكشف قوانين التطور الاجتماعي فتمكن الدبلوماسية السوفيتية من تفهم النزاعات السائدة في الحياة الدولية، ومن التكيف مع سير الاحداث. وهذه مزايا للدبلوماسية السوفيتية تفسر انتصاراتها الباهرة في الحقل الدولي**»[٢٤]. رغم ان هذا القول فيه نوع من المبالغة بنجاح الدبلوماسية السوفيتية وتجاهل لاخطائها، الا ان ما جاء فيه عن مدى تأثير الايديولوجية الشيوعية في الدبلوماسية السوفيتية لا يخلو من الصحة. ان نظرة شاملة للسياسة الخارجية السوفيتية تعطي انطباعاً أولياً للملاحظ لتلك السياسة بان الاتحاد السوفيتي يجعل من الايديولوجية محوراً اساسياً في توجيه سياسته الخارجية. ففي كل القارات نجد أن الاتحاد السوفيتي يحتفظ بعلاقات جيدة ومستقرة مع الدول الاشتراكية، وبعلاقات ممتازة وقوية مع الدول التي تدين بالعقيدة الماركسية ـ اللينينية. فكل التكتلات التي يقودها الاتحاد السوفيتي سواء العسكرية منها مثل وارسو أو الاقتصادية مثل «الكوميكون» تكتلات اشتراكية. كما ان الازمة التشكوسلافاكية عام ١٩٦٨م، والتي ظهرت نتيجة لحركة «دوبتشك» التحررية، وموقف الاتحاد السوفيتي منها والذي تمثل بارسال قوات حلف وارسو لقمعها، وما تبع تلك الازمة من اعلان مبدأ بريجينيف والمتضمن رفض الاتحاد

---

٢٣ ـ روي مكريدس، كينث توميسون «**نظريات السياسة الخارجية ومعضلاتها**» في روى مكريدس (مشرف) **مناهج السياسة الخارجية في دول العالم**، ترجمة د. حسن صعب، (بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٦٦م)، ص ٢٨.

٢٤ ـ فرنون اسباتوريان، «السياسة الخارجية السوفياتية» في روى مكريدس (مشرف)، **مناهج السياسة الخارجية في دول العالم، ص ٢٦٢.**

السوفيتي القوي لأي محاولة انفصال عن المعسكر الشرقي بزعامة العملاق الروسي، كل تلك السياسات تعكس رغبة الاتحاد السوفيتي القوية والصريحة بالمحافظة على أنظمة صديقة في الدول الشيوعية خصوصاً تلك الدول المجاورة له والتي تحتفظ معه بعلاقات ايديولوجية قوية.

الا ان ما تجدر الاشارة اليه هو ان ولاء الاتحاد السوفيتي للعقيدة الشيوعية لا يعني تمسكه باستمرار بمبادئها الاساسية التقليدية. فمن المعروف ان العقيدة الماركسية ـ اللينينية ترى ان المجتمع الدولي سيمر في مراحل تطوره بمرحلة حرب لا هوادة فيها بين المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي وان هذه الحرب أمر حتمي لتحقيق المجتمع الشيوعي. غير ان التطورات التكنولوجية التي حدثت في المعسكر الرأسمالي خصوصاً في مجال الاسلحة الذرية جعلت الاتحاد السوفيتي وغيره من الدول الشيوعية يدرك الابعاد الخطيرة لحتمية الحرب مع المعسكر الرأسمالي، وان أي حرب تقع بين المعسكرين ستكون مدمرة ليس للمعسكر الرأسمالي فحسب وانما ايضاً للمعسكر الاشتراكي. لذا كيف الاتحاد السوفيتي عقيدته الشيوعية لتتمشى مع المستجدات التي ظهرت في المجتمع الدولي وبالذات في المجتمع الرأسمالي حيث تنازل عن حتمية الصراع العسكري ليحل محله الصراع الايديولوجي والحرب الباردة. وهذا ما عبر عنه ستالين حينما قال «ان أهم ظاهرة تؤثر في الأحداث في حقل العلاقات الخارجية في وقتنا الحاضر هي قيام توازن مؤقت للقوى بين البلاد الرأسمالية وبلدنا وهذا التوازن هو الذي يكيف الفترة الراهنة للتعايش السلمي»[٢٥].

ان التحديات التي تواجهها الايديولوجية الشيوعية في مجال السياسة الخارجية لم تأت فقط من التطورات التكنولوجية وانما أيضاً من المصلحة القومية. فلا يزال اساتذة العلاقات الدولية يواجهون صعوبة في تحديد ما اذا كان سلوك الاتحاد السوفيتي تجاه قضية دولية ما أو حدث معين أملته الاعتبارات الايديولوجية أو المصلحة الوطنية. ان موضوع التعارض والتوافق بين الايديولوجية والمصلحة

---

٢٥ ـ فرنون أسبارتوريان، المرجع السابق، ص ٢٦٧.

القومية قد يكون مرتكزاً اساسياً لتفسير الخلاف بين الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية واللذين كلاهما يلتزمان بالعقيدة الماركسية ـ اللينية. أننا نرى ان كلا الدولتين سخر ايديولوجيته الشيوعية لخدمة المصلحة القومية حتى وان كان ذلك على حساب القوة المنطقية للعقيدة الشيوعية ووحدة العالم الاشتراكي. وما قيل عن الايديولوجية الشيوعية وتأثيرها في السياسة الخارجية السوفيتية يمكن أن يقال عن الايديولوجيات والسياسات الخارجية الأخرى، ولو أن درجة التأثير واستمراره تختلف من دولة الى اخرى.

الامبريالية : Imperialism

ان ظاهرة ممارسة نفوذ دولة كبرى على دولة صغرى ليست بالظاهرة الجديدة في تاريخ العلاقات الدولية. لقد بدأت ممارسة مثل هذا النفوذ منذ أواخر القرن الخامس عشر واستمرت حتى الوقت الحاضر وان كانت اشكال النفوذ الامبريالي ووسائله ودوافعه تختلف من عصر لآخر.

من الناحية التاريخية يميز «بنيامين كوهين» بين ثلاثة انواع من الامبريالية. النوع الأول يعرف بالامبريالية القديمة Old Imperialism وهذا النوع من الامبريالية مارسته البرتغال واسبانيا في الفترة ما بين ١٥٠٠ ـ ١٧٧٦م. ولقد كان هذا النوع من الامبريالية الاساس والبداية لفكرة الاستعمار Colonization والذي كانت وسيلته الاساسية القوة العسكرية وبالذات البحرية منها. أما هدفه الاساسي فكان استراتيجياً. لقد سادت في تلك الفترة الفلسفة الميركنتالية Mercantilism والتي تعني تولي الحكومة الاشراف المباشر على تنظيم الحياة الاقتصادية وذلك من أجل زيادة ثروة الدولة خصوصاً من الذهب والفضة والتي كانت تعتبر الاساس لقوة الدولة وامنها. لذا جاءت فكرة الامبريالية والتي تهدف الى توسيع مجال التجارة الخارجية للدولة كخطوة نحو زيادة قوة الدولة ومن ثم تحقيق أمنها[٢٦].

26- Benjamin J. Cohen, **The question of Imperialism: The Political Economy of Dominance & Dependance** (New York: Basic Books, Inc., Publisher, 1973), p. 20.

أما النوع الثاني من الامبريالية فيعرف بالامبريالية الجديدة New Imperialism وهذا النوع من الامبريالية مارسته فرنسا وبريطانيا في الفترة ما بين ١٨٧٠ - وحتى الحرب العالمية الثانية. لقد بلغت الامبراطورية البريطانية خلال تلك الفترة عظمتها حيث أنه في عام ١٩٠٠م، شملت خمس سكان المعمورة وربع مساحتها. الا أنه بانتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت تلك الامبراطورية تتقلص وبتقلصها قل دور بريطانيا في السياسة الدولية. ومثل الامبريالية القديمة استخدمت الامبريالية الجديدة القوة المسلحة لبسط نفوذها. أما هدفها فقد تميز بكونه اقتصاديا حيث تمكنت من خلال ممارسة النفوذ الامبريالي ضمان مصادر للموارد الأولية الصناعية والزراعية واسواق لمنتجاتها المختلفة.

النوع الاخير من الامبريالية يعرف بالامبريالية الحديثة Modern Imperialism وهذا النوع من الامبريالية مارسته كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي ولا تزالان تمارسانه حتى الوقت الحاضر. وما يميز هذا النوع من الامبريالية هو وسيلته وطبيعته. فبالنسبة للوسيلة لم تقتصر الامبريالية الحديثة على استخدام القوة العسكرية فحسب كما هو الحال بالنسبة للامبريالية القديمة والجديدة، وانما استخدمت بالاضافة الى القوة العسكرية وسائل أخرى مثل الوسائل الاقتصادية، والاعلامية، والسياسية. أما من حيث طبيعتها أو هدفها فلم يكن اقتصاديا أو استراتيجيا بحتا كما هو الحال في الامبرياليات السابقة، بل امتزجت تلك الاهداف مع اهداف سياسية ايديولوجية وهذا زاد من صعوبة دراسة الامبريالية وتحديدها كظاهرة دولية.

على خلاف كوهين يقدم كل من «روبرت آرت» و «روبرت جيرفس» مفهوما آخر لأنواع الامبريالية وهذا المفهوم لا يعتمد على التطور التاريخي وانما على الوسائل التي يتم بها تحقيق النفوذ الامبريالي لدولة كبرى على دولة صغرى. وفقا لأرت وجيرفس يمكن ان نميز بين نوعين من الامبريالية. الامبريالية الرسمية Formal Imperialism والتي تتم عن طريق الاستيلاء المسلح لدولة قوية على اقليم دولة ضعيفة والامبريالية غير الرسمية Informal Imperialism والتي تتم عن طريق السيطرة السياسية لدولة متقدمة على دولة

متخلفة اقتصاديا. النوع الاول أخذ صفة الرسمية لأن اقليم الدولة الضعيفة والتي تم الاستيلاء عليه ضم الى مناطق نفوذ الدولة الامبريالية واصبح تحت سيادتها. أما النوع الثاني فهو أخذ صفة غير الرسمية لأن الدولة الخاضعة للنفوذ الامبريالي بقيت مستقلة من الناحية الرسمية، الا انها ضمنيا خاضعة لنفوذ دولة أخرى[٢٧].

ماهية الامبريالية:

ليس هناك اتفاق بين أساتذة العلاقات الدولية على تعريف محدد للامبريالية. لكن رغم هذا الاختلاف هناك اتفاق بين المهتمين في ظاهرة الامبريالية على ان الامبريالية هي وصف لعلاقة دولية بين دولة قوية ودولة ضعيفة. يعرف كاتب بريطاني «مايكل برون» الامبريالية بأنها «علاقة اقتصادية، سياسية، عسكرية معقدة من خلالها تخضع اقطار متخلفة اقتصاديا لاقطار متقدمة من الناحية الاقتصادية»[٢٨]. فالدوافع وراء النفوذ الامبريالي حسب مفهوم برون هو اقتصادي بحت، لكن الوسائل التي تستخدم لتحقيق الهدف الاقتصادي قد تكون سياسية او اقتصادية او عسكرية. اما «بنيامين كوهين» فهو يرى ان الإمبريالية تعنى ببساطة اي علاقة مبنية على السيطرة الفعالة لدولة كبرى على دولة أخرى سواء كان الدافع وراء تلك السيطرة اقتصاديا أو سياسيا، مباشرا أو غير مباشر. فكوهين لا يجعل الدافع وراء الامبريالية دافعا اقتصاديا فقط ـ كما هو الحال عند برون ـ وانما يضع الى جانب الدافع الاقتصادي دافعا آخر هو الدافع السياسي.[٢٩].

ان الاختلاف في مفهوم الامبريالية وتعريفها يرجع بالدرجة الأولى الى التفسيرات التي قدمت لماهيتها سواء من حيث الدافع وراء ممارسة النفوذ الامبريالي أو الوسائل التي تستخدم لتحقيق ذلك النفوذ. في العلاقات الدولية

27- Robert J. Art and Rober Jervis eds. **International Politics: Anarchy, force imperialism.** (Boston. Little, Brown and Company, 1973) p. 292.

28- Michael B. Brown, **Atter Imperialism,** (New York. Humanities Press, 1970), p. VIII.

29- Gohen **Op. Cit.**, p. 11.

هناك ثلاثة تفسيرات لظاهرة الامبريالية: .اقتصادي، سياسي (استراتيجي)، واجتماعي.

التفسير الاقتصادي : لقد تبنى الفكر اليساري العالمي التفسير الاقتصادي لظاهرة الامبارية. ولقد بدأ «فلاديمير لينين» بوضع الاسس الأولى للتفسير اليساري المادي للنفوذ الامبريالي[30]. ففي كتابه «الامبريالية أعلى مراحل الرأسمالية» يرى لينين بأن الدافع وراء النفوذ الامبريالي العالمي هو اقتصادي بحت حيث انه ضروري لبقاء الرأسمالية. ففي مرحلة من مراحل تسابق الأمم الصناعية واستخدانها للطرق والوسائل الصناعية المتقدمة يجد أصحاب المصانع والتجارة والمؤسسات المالية أنفسهم في وضع أكثر صعوبة فيما يتعلق بتحقيق معدلات عالية من الأرباح. ونتيجة لهذه الصعوبات وجدت تلك المؤسسات الخاصة الكبرى أن بقاءها يعتمد على تدخل الحكومات والحصول على مساعدتها في تأمين مناطق جديدة في الأقطار المختلفة لتكون مصدراً للمواد وسوقاً للمنتجات وتوظيف رؤوس الاموال. وتلبية لرغبات المؤسسات الصناعية والتجارية والمالية الخاصة سعت حكومات الدول الصناعية الى بسط نفوذها الامبريالي الجديد والمعاصر. بكلمة أخرى وجد النفوذ الامبريالي ليحل الأزمة الاقتصادية التي واجهت ولا تزال تواجه الأمم الصناعية المتقدمة في مرحلة معينة من مراحل تطورها.

الا ان هذا التفسير الاقتصادي لظاهرة الامبريالية انتقد من قبل بعض الكتاب المهتمين بها. يرى «كوهين» ان هناك أدلة قليلة تدعم نظرية لينين واساسها الاقتصادي. فالمستعمرات نادراً ما لعبت دوراً بارزاً سواء كأسواق أو منافذ لتوظيف رؤوس الاموال. فمعظم المستعمرات كانت لدرجة من الفقر بحيث لا يمكن ان توفر سوقاً للصادرات من الدول الصناعية. وبينما يعترف «كوهين» بان بعض المستعمرات كانت مصدر للمواد الخام الا أنه يرى ان نسبة ما تصدره هذه المستعمرات من المواد التي تحتاجها الامم الصناعية كانت محدودة جداً

30- V.I. Lenin, **Imperialism, The Highest Stage of Capitalism**)Peking: Foreign Lanquages Press, 1975) p. 105-115.

وستظل محدودة. أما فيما يتعلق بتوظيف رؤوس الاموال فيرى «كوهين» ان نسبة ما وظفته بريطانيا في مستعمراتها من اجمالي توظيفها في الخارج لم يتجاوز ٢٥٪. والأهم من ذلك ان ٩٠٪ من هذه النسبة متركزة في مستعمرتين هما الهند وجنوب افريقيا[٣١].

التفسير السياسي : على خلاف الفكر اليساري تبنى الفكر اليمني العالمي التفسير السياسي (الاستراتيجي) للامبريالية. لقد قدم كا من «هانس. ج مورجنثو» و «بنيامين كوهين» اساسيات التفسير السياسي الاستراتيجي للنفوذ الامبريالي. يرى «مورجنثو» ان الدافع الامبريالي سواء في مرحلة ما قبل الرأسمالية أو مرحلة الرأسمالية هو زيادة القوة السياسية والاستراتيجية للدولة وليس الحصول على عائد اقتصادي مجرد[٣٢]. اما كوهين فهو يرى أن الجاذبية للمستعمرات تأتي من كون هذه المستعمرات أصولاً ذات قيمة في الصراع من أجل القوة. فالتوسع الاقليمي يؤدي الى رفع هيبة الدولة وزيادة قوتها العسكرية ومقدرتها في المفاوضات الدبلوماسية. «الاعتبارات الاقتصادية يمكن أن تكون مهمة، لكن الامبريالية الجديدة في الاساس ظاهرة سياسية»[٣٣].

ان كلا من مورجنثو وكوهين يعتقدان ان طبيعة المنتظم الدولي والتي تتسم «بالفوضوية» هي التي تدفع الامم الى ممارسة النفوذ الامبريالي اذ ان هذا النفوذ سيؤدي الى زيادة قوة الدولة الامبريالية. ان اهتمام الدولة بأمنها القومي هو الذي يدفعها لزيادة قوتها القومية، وسبب اهتمام الدولة بمسألة الأمن القومي يرجع الى ان المنتظم الدولي في حالة من الفوضى تجعل الدول غير مطمئنة. لقد حدد كل من روبرت ارت وروبرت جيرفس مدى وطبيعة العلاقة بين واقع المنتظم الدولي وظاهرة الامبريالية بقولهما:

31- Cohen, **Op. Cit., p. 59-66.**

32- **Hans J- Margenthan, Politics Among Nations: The Struggle For Power & Peace** (New York: Alfred A.Knopf, 1973), p.52.

33- Choen, **Op. Cit.,** p.80.

اذا كانت الدول تعيش في حالة من الفوضى في المجتمع الدولي وباستطاعتها استخدام قوتها المسلحة لتحقيق اهدافها فنحن يجب ان نتوقع أن بعض الدول ستقوم اما بفتوحات عسكرية والاستيلاء على الاقاليم أو ممارسة نوع من السيطرة على دول أخرى..

ان السبب الرئيسي للامبريالية موجود أو متأصل في تركيب النظام الدولي. لقد وجدت الامبريالية لأنه لا يوجد سلطة أو وكالة عليا (دولية) تمنع وجودها[٣٤].

رغم الجهود التي بذلها دعاة التفسير السياسي للامبريالية فان هذه الجهود الفكرية لم تكن مقنعة للعديد من الكتاب خاصة اليساريين الجدد من أمثال «هاري مقدوف» الذي عاد في كتابه «**عصر الامبريالية**» ليؤكد ما دعا اليه لينين ولكن في تفسير يتفق مع التطورات التي شهدها عالم السياسة الخارجية الامريكية. يرى مقدوف ان الدافع الاساسي للامبريالية المعاصرة اقتصادي بحت يتمثل في ابقاء العالم مفتوحاً بقدر الامكان للتجارة وتوظيف الاموال للشركات الرأسمالية عبر القومية. ان الوسائل التي استخدمتها ولا تزال تستخدمها الدول الرأسمالية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية لابقاء العالم مفتوحاً لشركاتها الرأسمالية وسائل عديدة، منها الوسيلة التقليدية ونعني بها استخدام القوة العسكرية لغزو اقليم ومن ثم ضمه لنفوذها الاقتصادي. لكن بما ان هذه الوسيلة اصبحت أقل عملية بدأت الامبريالية الامريكية بالاعتماد على وسائل اخرى اكثر فاعلية مثل: المساعدات العسكرية للحكومات الصديقة والتي تفتح بلادها للتجارة الامريكية، والمساعدات الاقتصادية الاجنبية والتي تهدف الى خلق ظروف اقتصادية ملائمة للتوظيف والاستثمار الامريكي، وأخيراً هناك الاستخبارات الامريكية .C.I.A وما لها من دور في تغيير الحكومات المناهضة للنفوذ الامبريالي واستبدالها بحكومات تقبله وتعمل من أجل بقائه[٣٥].

34- Art and Jervis, **Op. Cit.**, p. 291.

35- Hary Magdoff, **The Age of Imperialism: The Economics of U.S. Foreign Polich.** (New York. Modern Reader, 1969) p. 31.

التفسير الاجتماعي : يعتمد التفسير الاجتماعي لظاهرة الامبريالية على مفهوم مفاده ان العامل الاساسي لظهور النفوذ الامبريالي هو التركيبة الاجتماعية في الدولة التي تمارس النفوذ الامبريالي. فمتى ما اصبحت النخبة أو الصفوة في المجتمع Elite وبالذات صناع القرارت السياسية منها تواجه مشاكل داخلية أو لديها طموحات خارجية فانها تبدأ في الممارسات الامبريالية سواء أخذت تلك الممارسات شكل الفتوحات العسكرية أو السيطرة السياسية على حكومات أجنبية[٣٦]. ان هذه الممارسات الامبريالية ستساعد النخبة الحاكمة على تطويل أمد بقائها في الحكم وذلك بتحويل اهتمام الجماهير من التركيز على المشاكل الداخلية الى التركيز على الممارسات الامبريالية التي تسلكها النخبة الحاكمة سواء تمثلت تلك الممارسات في أعمال عسكرية أو سياسية. كما ان الممارسات الامبريالية قد تشبع رغبات وطموحات **القادة الذين** ليس لديهم مشاكل وانما رغبات ليكونوا قادة قوميين وصناع تاريخ، اذ أنه متى حققت الممارسات الامبريالية عائداً سياسياً أو اقتصادياً ملموساً فان هذا سيزيد من الرصيد الشعبي لقادة البلاد ويجعل كل واحد منهم بطلاً قومياً. اذا وفقاً للتفسير الاجتماعي السبب الاساسي لظهور الامبريالية هو عامل اجتماعي يتمثل في ظهور طبقة قيادية في المجتمع تواجه مشاكل داخلية أو لديها طموحات خارجية وتجد في ممارسة النفوذ الامبريالي متنفساً لهذه المشاكل أو وسيلة لتحقيق الطموحات.

الامبريالية المعاصرة : ان التفسيرات النظرية السابقة لظاهرة الامبريالية كلها تفسيرات مستمدة من الدراسات التاريخية. فتاريخ العلاقات الدولية يقدم امثلة لكل تفسير من التفسيرات السابقة. فالتفسير الاقتصادي له في الماضي والحاضر العديد من الأمثلة. انه ليس من قبيل الصدفة ان الولايات المتحدة الامريكية في علاقاتها مع دول العالم الثالث تركز بالدرجة الأولى على الدول التي فيها موارد وأسواق وفرص استثمار مثل الشرق الأوسط ودول أمريكا اللاتينية. ان الربط بين العامل الاقتصادي في السياسة الخارجية الامريكية ونهجها في الشؤون الدولية يوضحة مواقف الاستخبارات الامريكية .C.I.A ضد حكومة مصدق في ايران عام

36- Karl W. Deutsche "Theories of Imperialism & Neocolonalism". In Steven J. Rosen & James R. Kurth, **Testing Theories of Economics Imperialism,** (Lexington, Mas.: Lex Books, 74, p.21-24.

١٩٥٣م. حينما حاولت تلك الحكومة تأميم شركات النفط الغربية وضد حكومات وطنية وشرعية في العديد من دول أمريكا اللاتينية والتي حاولت كمصدق تأميم شركات الاستثمار الامريكية. ان العلاقة التاريخية والقوية بين العامل السياسي والعامل الاقتصادي في السياسة الخارجية الامريكية يبرزها أيضا تقرير أدلى به مساعد وزير الخارجية الامريكية «دين أتشيسون» عام ١٩٤٤، امام لجنة خاصة من الكونجرس الامريكي في تعليق له على تخطيط السياسة الامريكية لفترة ما بعد الحرب العالمية. لقد أوضح «أتشيسون» أن تخطيط النفوذ الامريكي لما وراء البحار يجب أن يأخذ بعين الاعتبار الضرورة الاقتصادية. في المستقبل، وفقاً لأتشيسون، الاقتصاد الامريكي يجب ان يكون له أسواق واسعة في الخارج لتمتص طاقته الانتاجية اللامحدودة في الداخل. مثل هذا الوضع ضروري لتجنب أي كساد اقتصادي في الداخل. هذا التقرير وغيره استخدمه عدد من المهتمين بظاهرة الامبريالية لتأكيد افتراضهم القائل ان «الامبريالية ليست مسألة خيار للمجتمع الرأسمالي، وانما هي طريق حياة لذلك المجتمع»[٣٧].

أما التفسير السياسي فمثاله البارز والمعاصر هو سلوك روسيا الخارجي سواء تحت الحكم القيصري أو الحكم الشيوعي. في ظل الحكم القيصري توسعت السيطرة الروسية لتشمل تقريباً كل وسط وشرق آسيا. وحينما قامت الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م، كان أكثر من نصف سكان روسيا غير روس. ان التغير في الحكومة والايديولوجية الروسية عام ١٩١٧م. لم يغير النزعة السياسية الامبريالية للقيادة الروسية. بعد الحرب العالمية الثانية امتدت السيطرة السياسية السوفيتية لتشمل الاقطار الشيوعية الجديدة المجاورة. لا شك ان سيطرة الاتحاد السوفيتي على تلك الاقطار أخذت شكل السيطرة السياسية غير المباشرة. لكن ما يجب ادراكه ان تلك السيطرة السياسية غير المباشرة دعمت عند الحاجة بتدخل عسكري لضمان استمراها وفاعليتها. أمثلة على ذلك تدخل الاتحاد السوفيتي العسكري في المانيا الشرقية عام ١٩٥٣م.، وهنغاريا عام ١٩٥٦م. وتشكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م.، واخيراً تدخلها في افغانستان عام ١٩٧٩م. ان مبدأ بريجينيف والمتضمن رفض الاتحاد السوفيتي القوي لأي محاولة انفصال من قبل دول أوروبا

37- Magdoff, **Op. Cit.**, p. 26.

الشرقية من المعسكر الشرقي الذي يتزعمه، يوضح مدى تأصل النزعة الامبريالية في السياسة الخارجية السوفيتية تجاه أوروبا الشرقية.

لقد بررت روسيا سيطرتها على دول أوروبا الشرقية منذ الحرب العالمية الثانية على اساس ان تلك الدول تمثل منطقة عازلة لحماية الاراضي الروسية والتي هي معقل الثورة الشيوعية من تهديد العالم الرأسمالي. لكن وفقاً للمفهوم الامبريالي العلمي السياسة الروسية تجاه اوروبا الشرقية والمتمثلة في منع حكومات دول تلك المنطقة من ممارسة الاستقلال الكلي في الداخل والخارج تجسد في الواقع نفوذاً سياسياً امبريالياً بكل معنى الكلمة. وهذا ما عبر عنه سفير الصين الشعبية لدى الأمم المتحدة عام ١٩٧١م. حينما وصف سياسة الاتحاد السوفيتي تجاه العديد من دول العالم بانها تجسد نوعاً جديداً من الامبريالية هو «الامبريالية الاشتراكية»[٣٨].

الحرب الباردة : Cold War

يقصد بالحرب الباردة النزاع والصراع الذي ينشأ بين دولتين أو كتلتين في المجتمع الدولي بدون أن تلجأ أي من تلك الدول أو الكتل الى الاستخدام الفعلي للقوات المسلحة. فالحرب الباردة اذا، عادة ما تكون صراعاً سياسياً ايديولوجياً تستخدم فيه كافة امكانيات الدولة باستثناء الاستخدام الفعلي للامكانيات العسكرية. اما في حالة اللجوء الى الاستخدام الفعلي للامكانيات العسكرية فان الحرب الباردة تتحول الى حرب ساخنة وهذه لها معنى ومفهوم آخر سنتطرق له فيما بعد.

لقد اقترنت فكرة الحرب الباردة بالنزاع والتوتر بين الشرق والغرب وبالذات بين الولايات المتحدة الإمريكية والاتحاد السوفيتي. وهذا النزاع بدأ بقيام الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفيتي عام ١٩١٧، والتي أرست اسس نظام

38- **Social Imperialism: The Soviet Union Today,** (berkeley, California, Yenan Books, 1977) p. 1-9 & 37-39.

شيوعي بالداخل وسعت الى تصدير الثورة الشيوعية للعديد من اقطار العالم كخطوة نحو اقامة نظام شيوعي عالمي[٣٩]. الا ان امكانيات الاتحاد السوفيتي المحدودة والمشاكل الداخلية التي واجهته في السنين الأولى من الثورة، مضاف الى ذلك ثقة العالم الغربي بامكانياته، وسياسة العزلة التي مارستها الولايات المتحدة الامريكية حتى الحرب العالمية الثانية كل هذه العوامل جعلت الغرب لا يأخذ التهديد الشيوعي السوفيتي مأخذ الجد. فرغم ادراك الامريكيين للتناقض الايديولوجي بينهم وبين الروس والذي أوجدته الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م. الا انهم كانوا يعملون حساباتهم و يقيمون سياساتهم على اساس عامل المصلحة والقوة والذي كان عند قيام الثورة لصالح الولايات المتحدة الامريكية.

لكن تساهل الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفيتي وعقيدته الشيوعية لم يستمر طويلاً. فلقد ادخلت الحرب العالمية الثانية بعض المتغيرات في الساحة الدولية والتي أرغمت كلا من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ان يأخذ كل منهما الآخر مأخذ الجد. من هذه المتغيرات التزام كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بعقائد سياسية مختلفة ومصالح قومية متعارضة. والاهم من ذلك امتلاك كل منهما لامكانيات عسكرية تقليدية واستراتيجية تؤهله لردع الآخر. في مثل هذا الوضع تصبح الحرب الباردة امراً حتمياً لان التعاون غير ممكن والحرب الساخنة غير مرغوبة.

وبعد ان تطورت الحرب الباردة كظاهرة مؤثرة في توجيه السياسة الدولية وبالذات سياسة روسيا وأمريكا بعد الحرب العالمية الثانية بدأ كل من أطرافها يلقي اللوم والمسؤولية عن بدء هذه الحرب على الطرف الآخر. فمن وجهة نظر العالم الغربي و بالذات الولايات المتحدة تكمن الاسباب الرئيسية للحرب الباردة في السياسة التوسعية للاتحاد السوفيتي، وشك الاتحاد السوفيتي تجاه الغرب ونواياه والذي يعتبر تقليداً قديماً في السياسة الخارجية الروسية سواء قبل الثورة الشيوعية أو بعدها، وأخيراً قيام الثورة الشيوعية في روسيا والتي جعلت من المعسكر

39- Young Hum im ed., **Twenty Years of Crises: The Cold War Era.** (N.J., Englewood Cliffs, Prentice-Hall, 1968) p.ix.

الغربي خصمها وعدوها الأول. أما الاتحاد السوفييتي فيرى أن الاسباب الرئيسية للحرب الباردة هي رغبة المعسكر الرأسمالي الغربي وبالذات الولايات المتحدة في تدميره كقوة دولية، كما أن النزعة الامبريالية في السياسة الخارجية الغربية وبالذات الامريكية نتج عنها سعي مستمر لتوسيع النفوذ الغربي السياسي والاقتصادي في المجتمع الدولي[40].

نظرية الاحتواء:

ان قناعة الغرب بأن الشرق هو المسؤول عن الحرب الباردة وسياسة ستالين التوسعية بعد الحرب العالمية الثانية جعلت العديد من المفكرين الغربيين وبالذات الامريكيين يبدون اهتماما كبيرا في وضع الاسس الفكرية التي يمكن للمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة ان ينطلق منها في مجابهته للتحدي الروسي سواء العسكري او الايديولوجي. لقد كان من ابرز من ساهم في تلك المجهودات الفكرية والتي رسمت نهج السياسة الخارجية الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية وسلوكها في الحرب الباردة مفكران بارزان هما «جون كينان» و «ولتر لبمان».

لقد طرح كينان نظرية «الاحتواء» Containment. والاحتواء يعني التزام امريكي لمقاومة النفوذ الشيوعي الروسي في كل مكان[41]. ان نظرية الاحتواء كما صاغها كينان ترتكز على افتراضات اساسية يمكن تلخيصها بما يلي:

١- ان الاتحاد السوفييتي ليس لديه ايمان حقيقي في امكانية تعايش سلمي دائم بين المعسكر الإشتراكي والمعسكر الرأسمالي. بل على خلاف ذلك لديه نوايا قوية في الاستمرار في الضغط من أجل اضعاف كافة القوى المنافسة له. .

40- Joseph Dunner ed., Dictionary of Political Science (N.J.Totowa, Littlefield, Adams & Co. 1970) p. 102.

41- John Lewis Gaddis, "Containment: A Reassessment: **Foreign Affairs** July 1977, Vol. 55 No. 4, p. 873.

٢- ان القوة السوفييتية ذاتها تحتوي على بذور انحطاطها. لذا فان الولايات المتحدة الامريكية يجب ان تبنى سياستها على افتراض ان القوة الروسية ضعيفة وغير دائمة. وهذا يعني دخول الولايات المتحدة الامريكية بثقة معقولة في سياسة احتواء ثابتة لمواجهة الروس بقوة مضادة في كل مجال يظهر الروس فيه علاقات الاعتداء على مصالح العالم المسالم والمستقر.

٣- اخيرا سوف يكون محبطا للروس اذا امتلك العالم الغربي القوة والامكانيات لاحتواء النفوذ الروسي لفترة ما بين عشرة الى خمسة عشر عاما. هذه الافتراضات الاساسية لنظرية الاحتواء انتقدت من قبل عدد من قادة الفكر الامريكي ومن ابرزهم لبمان[٤٢].

فوفقا للبمان، الاحتواء نظرية متفائلة حيث انها تطلب من الشعب الامريكي قبول الافتراض القائل بان القوة السوفييتية تسير نحو الانحطاط. وهذا الافتراض في نظر لبمان لا يمكن تأكيده أو نفيه. فنظرية الاحتواء اذا تطلب من الشعب الامريكي ان يبني مستقبله الأمني على افتراض غير مؤكد. بالاضافة الى ذلك نظرية الاحتواء غير ملائمة للاقتصاد الامريكي الحر. فمن المعروف ان سياسة الاحتواء تتطلب تحكم وزارة الخارجية بتوجيه الاستيراد والتصدير وفقا لما تمليه اعتبارات سياسة الاحتواء. وهذا امر غير ممكن في دولة تلتزم بنظام اقتصادي حر يقلل من تدخل الحكومة في العرض والطب سواء في الداخل أو الخارج. ثم أن نظرية الاحتواء غير ملائمة للقوة العسكرية الامريكية لعدة أسباب. فمع أن القوة العسكرية الامريكية قوية جدا الا أن عليها بعض القيود. فالولايات المتحدة الامريكية تقع في قارة معزولة ومفصولة عن مسرح الصراع بالمحيطات العظيمة، كما أن سكان الولايات المتحدة قليلوا العدد نسبيا، وليس لدى الولايات المتحدة احتياطي مشاة مقارنة بروسيا. ثم أن القوة العسكرية الامريكية غير ملائمة لسياسة الاحتواء والتي يتطلب تطبيقها الاستمرارية لفترة غير محدودة. واخيرا فالقوة العسكرية الامريكية تتميز بقابليتها للتحرك السريع ومداها وقوتها الضاربة الهجومية، لذا فهي ليست وسيلة فعالة لسياسة الاحتواء الدبلوماسي والتي لا

42- Walter Lippmann, **The Cold War: A study in U.S.Foreign Policy, (N.Y., Harper and Brother, Publisher, 1947) p. 9-14.**

تتطلب السرعة والمدى بقدر ما تتطلب طول النفس والمقدرة على الاستمرار[43].

ان الولايات المتحدة الامريكية في رأي «لبمان»، لا تستطيع عن طريق قوتها العسكرية الذاتية احتواء الضغوط التوسعية الروسية في كل مكان. لذا يلزم لتنفيذ سياسة الاحتواء التحالف مع دول أخرى معظمها تعتمد على او تدور في فلك الولايات المتحدة. وهذا سيجعل اداة سياسة الاحتواء تحالفا من دول تابعة وغير متحدة. مثل هذه الاداة لها بعض الصعوبات والسلبيات. ان تنظيم تحالف من دول قوية حديثة مهمة صعبة للغاية. أما تنظيم تحالف بين اقطار نامية يستمر عشرة أو خمسة عشر عاما فهو أمر غير ممكن. ثم أن الدول النامية ليست مواد جيدة يمكن ان يبنى منها عائق امني جيد. ان هذه الدول ستعمل وفقا لمصالحها ودوافعها الخاصة، لذا فهي ستقدم للولايات المتحدة حقائق قد لا ترغبها وتخلق أزمات ليست الولايات المتحدة مستعدة لها. بالاضافة الى ذلك فان الدول النامية حليف ضعيف والحليف الضعيف عبء على الولايات المتحدة وليس عونا لها.

وكبديل لنظرية الاحتواء طرح لبمان مفهوما اكثر واقعية لمجابهة توسع النفوذ السوفييتي. وفقا للبمان ان صناع السياسة الخارجية الأمريكية يجب ان يركزوا اهتمامهم وجهودهم على حلفاء امريكا الطبيعيين في مجموعة الاطلنطي، لأنهم اغنياء، أقوياء، متحدون، وديمقراطيون. وضمن هذه المجموعة يجب ان تبنى السياسة الخارجية الامريكية على حقائق توازن القوى. ان مجهودات الدبلوماسية الامريكية يجب ان تركز على كيفية اخلاء القارة الأوروبية من الجيوش الثلاثة غير الأوروبية (الامريكي، الروسي، البريطاني) والتي لا تزال داخل أوروبا. بدون هذا الاخلاء سوف لن يكون هناك سلام دائم. ان القوة العسكرية للجيش الاحمر وليس ايديولوجية كارل ماركس هي التي مكنت الحكومة الروسية من توسيع نفوذها. فنمو الجيش الروسي في أوروبا اذا وليس نمو الايديولوجية الشيوعية يجب ان توجه له الجهود. لا شك انه حتى في حالة انسحاب الجيش الأحمر خلف حدود روسيا فان الاحزاب الشيوعية ستبقى كطابور خامس. لكن يجب ان

43- **Ibid.** p. 19.

ندرك ان المشكلة الاساسية هو وجود الجيش الأحمر في أوروبا. الحزب الشيوعي في دولة ما هو طابور خامس فقط وهناك أربعة طوابير أخرى هي الجيش الروسي[٤٤]. باختصار مفهوم لبمان يركز على فصل الجيش الأحمر عن الشيوعية الدولية ومن ثم جعل هدف سياسة الاحتواء هو التوسع العسكري وليس النفوذ الايديولوجي.

تطور الحرب الباردة:

لقد بدأت ملامح الحرب الباردة تظهر بعد قيام الثورة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي عام ١٩١٧م، الا أن الحرب الباردة كظاهرة مؤثرة في توجيه السياسة الدولية ظهرت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اي في عام ١٩٤٥م، فمنذ هذا العام وحتى اتفاقي الهدنة الكورية في يوليو ١٩٥٣م، تميزت هذه الفترة من تاريخ السياسة الدولية بالتوسع العسكري الروسي وبسياسة الاحتواء الامريكية.

ففي المراحل الاخيرة من الحرب العالمية الثانية قام الروس بأولى محاولاتهم التوسعية وذلك بانشاء دولة تابعة لهم في المناطق التي احتلوها في شمال ايران حيث زادوا من عدد جنودهم المرابطين بتلك المناطق كما حثوا بعض الحركات السياسية الموالية لهم من أجل اعطاء شرعية لوجودهم. وفي نوفمبر ١٩٤٥م، وبدعم من القوات الروسية أعلن الحزب الديمقراطي ذو الميول اليسارية ومن جانب واحد - أي دون اتفاق مع طهران - الاستقلال التام لاقليم ادربيجان الايراني. وتلا ذلك انتخاب جمعية وطنية اعلنت بعد لقائها الأول في عاصمة الاقليم (تبريز) قيام جمهورية اذربيجان تحت رئاسة زعيم يساري هو «جعفر البشيغاري». الا ان هذه الجمهورية نتيجة لضغوط مجلس الأمن الدولي، والحكومة الامريكية لم تستمر لفترة طويلة من الزمن. فبعد انسحاب الروس من شمال ايران في مايو ١٩٤٦م، عادت اذربيجان جزءا من ايران. لذا لم ينجح الروس في هذه المغامرة والتي تعتبر الاولى في صراع الحرب الباردة.

44- **Ibid.**, p. 35-41.

لكن ما حدث في شمال ايران لم يكن المحاولة الوحيدة والاخيرة للاتحاد السوفييتي والرامية الى بسط نفوذه في مناطق جديدة من المعمورة، ففي اليونان ايضا قام الروس بدعم الاحزاب اليسارية خلال الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لهذا الدعم زاد نفوذ تلك الاحزاب بعد الحرب لدرجة انها اوشكت على الاستيلاء على السلطة في أثينا بالقوة مما دفع الوحدات العسكرية البريطانية المرابطة في اليونان للتصدي لتلك الحركات اليسارية والحيلولة دون وصولها للسلطة.

ان الاحداث الايرانية واليونانية كانت بمثابة المؤشر للنوايا الروسية وتحد علني للمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية. ولقد استجابت امريكا لهذا التحدي باعلان مبدأ الرئيس الامريكي «ترومان» في مارس ١٩٤٧م، والذي تضمن ان الولايات المتحدة الامريكية سوف لن تدرك اهدافها القومية ما لم يكن لديها رغبة جادة وقوية لمساندة الشعوب «الحرة» للمحافظة على مؤسساتها السياسية الحرة وسلامتها القومية ضد الحركات العدوانية ـ و يقصد بها الحركات اليسارية ـ التي تحاول ان تفرض على الشعوب الحرة أنظمة دكتاتورية. تلا هذا الاعلان دعم عملي من جانب الولايات المتحدة حيث وافق الكونجرس الامريكي فورا على تقديم مساعدة تبلغ أربعمائة مليون دولار امريكي لليونان وتركيا والتي كانت تحت ضغوط روسية أيضا. لقد وصف الاتحاد السوفييتي هذا الدعم بأنه أداة من أدوات الامبريالية الامريكية التي تحاول من خلالها فرض سيطرتها على شعوب تلك الدول.

وبعد الازمة الايرانية واليونانية انتقل مسرح الاحداث الى المانيا حيث جاء حصار برلين في يونيو ١٩٤٨م، ليزيد من التوتر في العلاقات بين الشرق والغرب. فلقد اتهم الاتحاد السوفييتي الدول الغربية وبالذات امريكا، بريطانيا، وفرنسا بالقيام ببعض النشاطات الاقتصادية والتي تهدف الى تقوية الاجزاء الخاضعة للنفوذ الغربي في المانيا على حساب الاجزاء الخاضعة للنفوذ الشرقي. ومن هذه النشاطات الاقتصادية تقديم عملة خاصة للمناطق الغربية من ألمانيا كخطوة نحو تحسين وضعها واستقلالها الاقتصادي. وكرد فعل لهذه النشاطات قام الاتحاد السوفييتي بفرض حصار على برلين الغربية من يونيو ١٩٤٨م، وحتى مايو

١٩٤٩م، وكان الهدف الحقيقي وراء هذا الحصار بالاضافة الى التصدي للنشاط الاقتصادي الغربي تحقيق اهداف استراتيجية منها ارغام الغرب على الخروج من برلين ليستأصل الجزيرة الرأسمالية من البحر الاشتراكي، وتحطيم معنوية الغرب وخلق انشقاق في صفوفه، وتقليل ثقة المانيا بحلفائها الغربيين وبالذات امريكا، وارغام الغرب على اتخاذ خطوة يستطيع الروس من خلالها معرفة النوايا الخفية والقوة الحقيقية للمعسكر الغربي[٤٥].

أما بالنسبة للغرب فلقد وصف حصار برلين بأنه عمل عدواني يهدف الى تهديد سكان برلين بالمجاعة والانهيار الاقتصادي وأن الاتحاد السوفييتي يحاول تحقيق اهداف سياسية عن طريق اعمال عسكرية. ولمجابهة هذا الحصار العسكري الذي فرضه الروس على برلين اقام الغرب جسرا جويا لتزويد المدينة بمستلزمات الحياة الاساسية اليومية طوال مدة الحصار حتى تم رفعه في مايو ١٩٤٩م. ورغم أن الاتحاد السوفييتي لم يحصل على ما كان يتوقع وهو استئصال النفوذ الغربي من برلين وتحطيم معنويات الغرب الا أنه حصل على بعض العائد السياسي والذي تمثل باعتراف المعسكر الغربي ضمنيا Defacto بحكومة المانيا الشرقية الشيوعية، وانسحابه عن فكرة توحيد المانيا، وموافقته على عدم تسليح قواته في برلين بسلاح نووي وعدم اقامة صواريخ عسكرية فيها. لقد كان لحصار برلين اثر كبير على الاستراتيجية العسكرية للمعسكر الغربي. فلقد اخذ المعسكر الغربي الحصار العسكري الروسي لبرلين مأخذ الجد. ونتيجة لذلك قام الغرب بتأسيس «منظمة حلف شمال الاطلنطي» والتي تعرف باسم الناتو NATO وذلك في ابريل ١٩٤٩م.

وفي اكتوبر ١٩٤٩م، أعلن رسميا قيام الصين الشيوعية والتي جعلت من بكين عاصمة لها. تلى ذلك التوقيع في فبراير ١٩٥٠م على اتفاقية روسية ـ صينية لمدة ثلاثين عاما شملت ضمن بنودها تحالفا عسكريا بين الدولتين. لكن هذا

45- John Spanier, **American Foreign Policy Since World II** (New York, Praeger Publishers, 1973) p. 62.

التطور لم يؤثر على الغرب وبالذات أمريكا تأثيرا جديا ولم يدفعه للقيام برد فعل عسكري أو سياسي. فلقد كان الاهتمام الغربي وبالذات الامريكي مركزا على أوروبا أولا ثم الشرق الأوسط ثانيا. كما أن الغرب نظر الى حكومة «شيانغ» الصينية والتي اسقطتها الحركة الشيوعية بقيادة «ماوتسي تونغ» على أنها حكومة فاسدة وغير قادرة على توفير الادارة السياسية الفعالة التي يمكن من خلالها تحقيق الاصلاحات الضرورية في الصين. اخيرا وجد الغرب ان امكانياته محدودة وأماكن التهديد متعددة. لذا لا بد من تحديد أي المناطق اهم وايها اكثر قابلية لفاعلية ادوات السياسة الخارجية الغربية وبالذات الاقتصادية. لكن المد الشيوعي في آسيا لم يقتصر على الصين فقط[٤٦].

ففي ٢٥ يونيو ١٩٥٠م قامت القوات العسكرية لكوريا الشمالية الموالية للاتحاد السوفييتي والصين الشعبية بهجوم عسكري على دولة تعتبر ضمن مناطق النفوذ الغربي وهي كوريا الجنوبية. ولقد واجهت قوات كوريا الشمالية مقاومة من قوات كوريا الجنوبية وحلفائها الغربيين حيث استمر القتال حتى يوليو ١٩٥٣م، حينما تراجعت القوات العسكرية لكوريا الشمالية وتم التوقيع على اتفاقية هدنة بين الطرفين. لقد كان للتحرك الغربي العسكري والسياسي الدور الأكبر في صد قوات كوريا الشمالية ولقد كان هذا التحرك أمرا لا بد منه. فالموقف السلبي للغرب سيشجع على المزيد من التوسع الشيوعي وهذا ضد مضمون سياسة الاحتواء. كما أنه سيعطي انطباعا للعالم بان الغرب خائف من الشرق وغير مهتم بامن الشعوب الحرة والصديقة. وبانتهاء الحرب الكورية انتهت المرحلة الأولى من مراحل الحرب الباردة.

لقد اقترن انتهاء الحرب الكورية بوفاة «ستالين». ولقد أدت وفاة ستالين الى تغيير في نهج السياسة الخارجية السوفييتية حيث تحول التركيز من التوسع العسكري الى التوسع السياسي الايديولوجي ولقد كانت الفترة ما بين عامي ١٩٥٣ وعام ١٩٥٩م فترة التقاط النفس في تاريخ الحرب الباردة. ورغم قيام حكومة ثورية في كوبا في يناير ١٩٥٩م فان هذه الحكومه لم تؤخذ على انها

46- **Ibid.**, p. 82.

مصدر لتهديد أمن امريكا. فكاسترو أعطى انطباعا خلال فترة نضاله ضد حكومته «باتيستا» بأنه يتعاطف مع الحكومات الديمقراطية ولم يظهر ميوله اليسارية الا بعد نجاح الثورة وانفراده بالسلطة.

ان الذي بعث الحرب الباردة من جديد هو حادث طائرة «يوتو» U2.ففي يوم مايو ١٩٦٠م، وعلى عمق ١٣٠٠ ميل داخل الاراضي السوفييتية أسقطت وسائل الدفاع الجوية الروسية طائرة تجسس أمريكية من طراز U 2 تحمل معدات تصوير لغرض جمع معلومات أمنية. ورغم ان الولايات المتحدة الامريكية نفت في بادىء الأمر أن تكون النوايا الحقيقية للطائرة هي التجسس الا أنها في نهاية الأمر اعترفت بالحقيقة وهذا الاعتراف مثل بادرة دبلوماسية لم يسبق لها مثيل. والاكثر من ذلك انها اعترفت ايضا ان مثل هذه الطائرة ارسلت عدة مرات الى الاتحاد السوفييتي وسوف ترسل في المستقبل. والتبرير الذي قدمته الولايات المتحدة لهذا العدوان هو السرية السوفييتية والتي جعلت ارسال مثل هذه الطائرة أمرا ضروريا وذلك للحصول على معلومات لتجنب اي هجوم روسي مفاجيء. بكلمة مختصرة اعطت الولايات المتحدة لنفسها حق تحليق طائراتها في الأجواء الروسية. لقد هزأ الرئيس السوفييتي «خروتشوف» من تبرير الولايات المتحدة وشن هجوما على الرئيس الامريكي ايزنهاور ورفع ثلاثة مطالب لا بد من تحقيقها لاستمرار هدنة الحرب الباردة. وهذه المطالب هي اعتذار شخصي للحادث، عدم تكراره، ومعاقبة الجهات التي اشرفت على هذا الحادث. بالنسبة لعدم التكرار فقد وعد به «ايزنهاور» لكنه رفض بقية المطالب وهذا أدى الى تعليق محادثات القمة والتي عقدت في باريس لمناقشة الوضع في برلين[٤٧].

وبعد حادث U 2 تطورت الاحداث في كوبا حيث بدأ كاسترو يوضح نواياه الحقيقية وهي اقامة حكومة شيوعية ذات تقارب مع المعسكر الشرقي. لقد أحدث هذا التحول في سياسة الرئيس الكوبي قلق القيادة الامريكية مما دفعها الى دعم محاولة لغز كوبا وتغيير نظام الحكم فيها. ففي ابريل ١٩٦١م قام

47- Charles Gatied., Caging the Bear: Containment and the Cold War, (N.Y. The Bobbs-Merril Company, Inc., 1974) p. 64.

مجموعة من الكوبيين المنفيين في امريكا وبالذات في ولاية فلوريدا بعملية غزو للشواطىء الكوبية عرفت فيما بعد بعملية «خليج الخنازير». الا أن هذه المحاولة فشلت فشلا ذريعا. ولقد أدت هذه المحاولة الى تعزيز العلاقات العسكرية الروسية ـ الكوبية. ففي خريف ١٩٦٢م، اكتشفت الاستخبارات الامريكية فجأة أن الاتحاد السوفييتي يبني قواعد لما يقارب من سبعين قذيفة قصيرة ومتوسطة المدى. لقد توقع الروس ان رد الفعل الامريكي تجاه هذه القواعد سينحصر باحتجاج دبلوماسي. لكن أمريكا اعتبرت وجود صواريخ روسية على بعد تسعين ميلا من أراضيها تهديدا لامنها القومي. لذا مارست ضغوطا سياسية وعسكرية مكثفة لازالة قواعد الصواريخ الروسية. ونتيجة لهذه الضغوط تراجع الاتحاد السوفيتي عن موقفه وسحب قواعد الصواريخ مقابل تعهد ضمني من الولايات المتحدة الأمريكية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية لكوبا. وانتهت بذلك أزمة الصواريخ الكوبية. وبعد هذه الازمة شهدت العلاقات الروسية الامريكية تحسنا مستمرا خصوصا بعد سقوط خروتشوف عام ١٩٦٥م، وهذا التحسن المستمر وفر المناخ الملائم لسياسة الوفاق الروسية ـ الامريكية التي شهدتها العلاقات بين الدولتين في أواخر الستينات وأوائل السبعينات.

الوفاق: Detente

يقصد بالوفاق تقليل التوتر بين دولتين أو أكثر. ولقد وصفه «فلاديمير بيتروف» بأنه عملية يتم من خلالها احلال التعاون العام بين دولتين او اكثر محل المواجهة المستمرة بينهما[٤٨].

لقد تبلورت فكرة الوفاق في أوائل السبعينات وهي تركز على ربط Linkage التعاون الاقتصادي بالتعاون العسكري والسياسي. لقد فهم «كيسنجر» وغيره من منظري السياسة الخارجية الامريكية أن الاتحاد السوفييتي مهتم بالوفاق ليس لاعتبارات عسكرية وانما لاعتبارات اقتصادية حيث واجه الروس مع بداية السبعينات مشكلة انحطاط معدل النمو والانتاجية. ولقد وجد كيسنجر وغيره من

48- Valdimir Petrov, U.S. Soviet Detente: Past and Future; (Washington, D,C., American Enterprise Institute for public Policy Reseach, 1975) p. 1.

المنظرين الامريكيين أنه من المفيد للولايات المتحدة استغلال هذه الظروف الاقتصادية للحصول على عائد سياسي واستراتيجي من الاتحاد السوفييتي مقابل تقديم الدعم الاقتصادي له[٤٩]. الا أن ما يجب ادراكه هو أن الوفاق لم يكن وليد تلك الظروف الاقتصادية وحدها بل انه كفكر ظهر منذ منتصف الستينات.

فخلال الفترة ما بين ١٩٦٦-١٩٦٨م. توصل كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي الى اتفاقيات عديدة من ضمنها فتح خطوط جوية مباشرة، وتأسيس قنصليات في مدن غير العواصم الرئيسية، وتنظيم جديد للتبادل الثقافي وتعاون في مجال الاكتشافات والبحوث الفضائية [٥٠]. لكن هذه التطورات حد من فعاليتها تطورات أخرى منها غزو روسيا لتشكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م، والاهم من ذلك زيادة التورط الامريكي في فيتنام. ورغم هذه التطورات السلبية فان مسيرة الوفاق لم تقف. فلقد شهد الوفاق قفزة في مسيرته في أوائل السبعينات نتيجة لزيارة «نيكسون» للصين في صيف ١٩٧١م، وزيارته لموسكو في مايو عام ١٩٧٢م، وزيارة «برجنيف» لواشنطن في يونيو ١٩٧٣م. فخلال لقاءات القمة هذه توصل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الى عدد من الاتفاقيات والتي من اهمها الاتفاقية الاولى للحد من الاسلحة الاستراتيجية SALT. I والتي تحتوي في مضمونها على مبدأ التكافؤ الكمي والكيفي في القذائف المضادة للصواريخ. كذلك تم التوصل الى اتفاق تجاري يتضمن تشكيل لجنة أمريكية ـ روسية لتعزيز التجارة بين الدولتين وتطوير مصادر الطاقة في كل منهما. اخيرا تم التوصل الى اتفاق سياسي يتضمن وضع الاطار السياسي الذي يحكم العلاقات بين الدولتين ويضمن استمرار الوفاق.

لكن مع انحطاط قوة نيكسون خلال عام ١٩٧٣م، ١٩٧٤م، بدأت تنحط هيبة البيت الأبيض الامريكي وبدأت القوى السياسية الامريكية المناهضة لفكرة

49- **Theodore Draper "Appeasement & Detente", in Steven L. Spiegel ed. At Issue: Politics in the World Area.** (New York. St. Martin's press, 1977) p. 184-185.

50- George F. Kenan "The United States & the Soviet Union 1917-1976" **Foreign Affairs,** July 1976, Vol. 54, No. 4, p. 686.

الوفاق تتحرك وبفعالية اقوى من قبل. ومع بداية عام ١٩٧٥م، رغم أن الاتفاقيات التي تم الاتفاق عليها خلال الوفاق استمرت قائمة، الا أن امكانيات النجاح لمزيد من اتفاقيات الحد من الاسلحة الاستراتيجية قد تقلصت، كما أن المناخ السياسي الذي يمكن من خلاله ايجاد المزيد من التقدم في تحسين العلاقات الامريكية ـ الروسية قد بدأ يعمل ضد مثل هذا التحسن. فالاتحاد السوفييتي من جانبه اعاد التأكيد بان الوفاق سوف لن يكون على حساب سلطة الحكومة الشيوعية في الداخل او سمعة الاتحاد السوفييتي أو مبادىء الماركسية ـ اللينينية في الخارج. بكلمة أخرى بدأ كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي يعيد النظر في مفهوم الوفاق خصوصا مفهومه السياسي و يفسره حسب ما تمليه مصلحته القومية. فبالنسبة للولايات المتحدة فهمت المبادىء السياسية للوفاق بأنها لا تشمل فقط العلاقات الروسية ـ الامريكية وانما تشمل ايضا بقية انحاء المعمورة اي الاحجام عن تغيير الواقع السياسي في المجتمع الدولي لصالح اي من الاطراف. أما بالنسبة للاتحاد السوفييتي فلقد فهم المبادىء السياسية للوفاق على أنها محصورة في العلاقات الروسية ـ الامريكية وأنه تعني بأي حال من الاحوال تجميد الواقع السياسي والاجتماعي الدولي او منع الاتحاد السوفييتي من التعاطف مع أو دعم الحركات الاستقلالية القومية والحكومات الحليفة والصديقة[٥١]. وانطلاقا من هذا المفهوم يصف الاتحاد السوفييتي تدخله في افغانستان و بولندا بأنه لا يتنافى مع المبادىء الاساسية السياسية للوفاق لانه يقع خارج اطار العلاقات الروسية ـ الامريكية.

51- Draper, **Op. Cit.**, p. 189.

obeikandl.com